القلم واللسان

بقلم: نافل علي الحربي

إلى أخواني الذين يمرون بمشاركاتي بهذه المنتديات، أو القروبات، الذين يبدون إعجابهم، بما أكتبه، أو الذين يحفظون عناوين كتبي في منتدياتهم، ليثبتوا للقراء بأنها هي وما معها في القوائم التي يعرضونها من أهم وأجود وأفضل ما يقتنى ويدخر لإثراء التراث والموروث الشعبي، أو الذين يضمنون مشاركاتهم بعض أشعاري، أو بعض محتويات كتبي، في بعض المنتديات، أو الجرائد، أو المجلات، أو الذين يعرضون مشكورين إصدارات كتبي، عند صدورها، أو الذين يحفظونها، ويعرضونها للتعريف بها، والذين يرجع لهم الأفضل الأول والأخير، مثل جامعة الملك سعود، ومكتبة الملك فهد، التي لا تعطي وزارةُ الإعلامِ والثقافة فسحَ نشرٍ وتوزيع المطبوعات إلا بعد إيداع نسخ من المطبوعة فيها، وأخذ نسخ أخرى لديهم، والتي (مكتبة الملك فهد) تبعث إليّ مشكورةً على عنواني شهادات شكرٍ، على تأليف المؤلفات التراثية، التي أولفها، أو غير هؤلاء ممن عرفت وممن لم أعرف جميعاً ٠

أقول: جزاكم الله خيرا وأصلح الله شأنكم، ودمتم ذخراً لما يفيد الأمة فائدة شخصية، أو فائدة عامة بأذن الله، وبعد أهدي إليكم هذه المشاركة وسائل التواصل الاجتماعي، التي أنعم الله علينا بها، اهدي إليكم هذه المشاركة المتواضعة، راجياً أن تبلغكم، وإن تنال رضاكم، واستحسانكم، ولأكون رديت لكم، ولو بعض الجميل، بفضل ما للقلم، واللسان من فوائد عميمة، واللذين هم أداواتكم، وأدواتي في هذا العصر، الذي يتطلب صلاح مثل هذه الأدوات، وهذه الهدية هي عبارة عن وصف للقلم، واللسان بموضوعٍ مختصرٍ لما أعرفه عن هاتين الاداتين من فوائد جماء، وسلبياتٍ جماء إيضا٠

أعزائي هؤلاء الأصدقاء أنتم تعلمون إنني أتيتكم بقلمي ولساني، ولم آتيكم بقدمي، وواجهتكم بقلمي ولساني، ولم أواجهكم بوجهي، فهل عرفتم السر، الذي يكمن وراء إعجابكم بمؤلفاتي أو مشاركتي؟ وما يمكن التنبيه إليه لتكون الفائدة أعم وأنفع ؟

ألا ترون معي إن المرء بصغيريه قلبه ولسانه ؟ وإن الإنسان الذي ليس له لسان يذهب في طي النسيان، وإن المواجهة بالقلم، واللسان أشمل وأعم نفعاً وفائدةً من المواجهة بالوجه، ألا ترون إن الإنسان الذي ليس لديه قلمٌ ولسانٌ يعبر بهما عما في

ضميره، من الآراء أو الطلبات وعرض الأحوال، كالإنسان الذي له وجهٌ وليس له لسان ٠

محاسن ومساوئ القلم واللسان

من حكم العرب قولهم: " القلم بيد العاقل نور، وبيد الجاهل زور "، و" عثرة القدم أسهل من عثرة اللسان "، و" ما دخل العلم بشيءٍ إلا زانه، وما دخل الجهل بشيٍ إلا شانه " ٠والكلام في هذا الموضوع يطول ويتشعب، ولن أطيل عليكم فخير الكلام، ما قل، ودل، خير مما يطيل فيمل ٠

فالذي لا بد من معرفته، أن نعلم إن الله أشار بأول آية نزلت على رسوله محمد صلى الله عليه وسلّم، إلى إن الله علمّ الإنسان بالقلم، علمه ما لم يعلم ٠ وقد أقسم تعالى بالنون والقلم وما يسطرون، لمحبته لذلك ولرفيع قدره عنده، جعل شأنه، وعظم سلطانه، وقد قال تعالى: " هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " أي ما يستوي الذين يعلمون، والذين لا يعلمون ٠

فالذي أنصحكم به، وأنصح نفسي، أن نعلم علم اليقين إن أصدق الكلام كلام الله، عز وجل، وخير الهدي هدي رسوله محمد صلى الله عليه وسلّم ٠

وإن نبتعد عن الشرك، والظلم، والعنصرية القبلية الساذجة، وإن نعلم إنما أهلك الأمم التي قبلنا الشرك، بالله، والظلم، وإن نعلم إن الموروث إنما يحفظ للاستفادة منه، لا للتفاخر، ولا للحمية الجاهلية الجوفاء، ولا للتعصب القبليّ الفجّ، ولا لشيءٍ مما هو واقع في حيز هذه الأمور الجاهلية، التي تؤخذ مأخذ الثقة، والتصديق، وهي لا تخلو من الشرك، والظلم، لأنها تنظر من منظورٍ واحدٍ، خالٍ من الحكمة، والشمولية، ومراعاة حقوق وقيم جميع الأطراف المتضادة، في جميع القضايا، والمواضيع الأدبية ٠

فهل تعلم عزيزي القارئ إن الأصنام التي كانت تعبد من دون الله، ليس سواء صوراً مجسدةً لبعض الصالحين من السلف في عصرها، جسدت تجسيداً للاعتراف بما قدموه من مكارم أخلاقية، ومواقف اجتماعية نبيلة، تذكر فتشكر، فحولتها المفاهيم الجاهلية العامية، إلى معبودات تعبد من دون الله، حسب ما يظن بعض المؤرخين ٠

لهذا علينا إن نعتبر الموروث الشعبي جزءاً لا يتجزأ من تأريخ أسلافنا، ونهتم بحفظه، للاستفادة مما فيه، فائدة تخدم ديننا، قبل أن تخدم دنيانا، فلا خير بموروثٍ

لا يخدم الدين، ويتفق مع ما فيه، من تشريعات، ويؤتمر بما فيه من أوامر، وينتهي بما فيه من نواهي٠

وتقبلوا تحياتي أخوكم ومحبكم الشاعر والمؤلف/ نافل علي القمامي الحربي ٠٥:١٨ م ١٤٣٠/٠٢/٠١